الرقم الدولي المعياري للمؤتمر (معتمد ومصنف دوليًا) ISBN 978 - 9953 - 0 - 2970 - 2

المؤتمر الدولي الحادي عشر للغة العربية

22 - 24 أكتوبر 2025م الموافق 30 ربيع الآخر - 2 جمادى الأولى 1447هـ

دبي - الإمارات العربية المتحدة

الهيئات العربية والدولية أعضاء المجلس الدولي للغة العربية

أثر الاغتراب والعقدة النفسية في شعر الشنفرى الأزدي
دراسة نفسية واجتماعية واقتصادية ودينية

By

البروفيسور، الدكتور مصطفى حسين إسماعيل

رئيس قسم اللغة العربية

بجامعة بايرو، كنو، نيجيريا

الهاتف:+2348037036172

Email: chumrights_islam@yahoo.com

المقدمة:

يدور هذا البحث حول سبعة محاور. أما المحور الأول فعبارة عن المقدمة التي تقدم فصول البحث للقارئ كما تبين النقاط التي تناقش في كل فصل. وأما المحور الثاني فيعرف القارئ بالشنفرى تعريفا وجيزا يذكر فيه اسمه ولقبه وكنيته ومولده ونسبه وشاعريته ووفاته. ويتناول المحور الثالث الظروف الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية بالتحليل والمناقشة بغية اكتشاف الدور الذي لعبته هذه الظروف في اغتراب الشنفرى وعقدته النفسية. ويقوم المحور الرابع بتعريف الاغتراب وأنواعه في حين يتناول المحور الخامس العقدة النفسية وأنواعها وأسبابها بالمناقشة والتحليل. ويتصدى المحور السادس لاكتشاف مظاهر أثر الاغتراب والعقدة النفسية في أشعار الشنفرى. وفي نهاية المطاف يلخص المحور السابع النتائج التي وصل إليها البحث، ثم يقدم التوصيات للدراسات القادمة مشيرا إلى العناصر التي بحاجة إلى تعميق وتوسيع البحث عنها أو سد الفجوات والثغرات التي تركها هذا البحث.

التعريف بالشنفرى

تكاد تجتمع المصادر على أن الشنفرى من الأواس بن الحجر بن الهنو[1] أو الهنء[2] أو الهنيء[3] بن الأزد بن الغوث. وهو من أم سبية[4] وهي كما تروى المصادر، أخت لتأبط شرا. ولقب بالشنفرى لعظم شفاه.[5] فهو من بين أبناء الحبشيات السود الذين رفضهم آباؤهم ولم يعترفوا بهم "لعار ولادتهم". والشنفرى إذًا من أغربة العرب الذين شاركوا أمهاتهم في سواد بشرتهم.

ثم إن الشنفرى يعد من العدائين الذين "لم تلحقهم الخيل"[6] والذين يضرب بهم المثل في الجري والعدو، فيقال "أعدى من الشنفرى"[7] على سبيل المثال. وهذا تأبط شراء معلمه الذي لقنه دروس الصعلكة يرثيه، مشيرا إلى بعض صفاته التي من بينها عدوه[8]:

فلا يبعدن الشنفرى وسلاحه الـ * حـــــديد وشـــــــــد خطوه متواتر

ويقول ظالم العامري ذامًا ومعاتبًا قومه من الأزد على عجزهم عن إدراك الشنفرى والقبض عليه، مع شدة جريهم وخفته[9]:

فما لكم لم تدركوا رجل شنفرى * وأنتم خفاف مثل أجنحة الغرب

تعـــــــــــــاديتم حتى إذا ما لـحقتم * تباطأ عنكم طالبا وأخو ســـــقب[10]

ويفتخر الشنفرى نفسه بسرعة جريه حين يقول:

ألا لا تعدني أن تشكيت خـلتي * شفاني بأعلى ذي البريقين عدوتي

ويضرب بالشنفرى كذلك، المثل في "الحذق والدهاء"[11].

ولقد رويت أخبار وأقاصيص وحكايات حول شخصية الشنفرى وتصعلكه وتمرده. وهي أخبار مضطربة ومتناقضة بعضها بعضا. وهي كما يصفها بعض مؤرخي الأدب العربي "أقرب إلى أن تكون صورة من الأساطير الشعبية التي كثرت حول أبطال العصر الجاهلي، من أن تكون أخبارا حقيقية"[12]. ومع ذلك فإننا بحاجة إلى تتبعها بالشرح والتحليل لما فيها من إضفاء

---

[1]) الأغاني، م 24، ص9389

[2]) ديوان الحماسة، ج 1، ص: 187، وخزانة الأدب، ج 2، ص343

[3]) ديوان المفضليات، ص: 195

[4]) المصدر نفسه والصفحة

[5]) خزانة الأدب، ج 3، ص: 344

[6]) المصدر نفسه والصفحة

[7]) المصدر نفسه والصفحة

[8]) الأغاني، م 24، ص8301

[9]) المصدر نفسه والصفحة

[10]) المصدر السابق، ص: 8401، سقب: ولد الناقة.

[11]) ديوان الحماسة، ج 1، ص: 188

[12]) الشعراء الصعاليك، ص: 332 ، نقلا عن المفضليات، مم2، (ترجمة).

الضوء على طبيعة البيئة والظروف الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية القبلية التي عاشها الصعلوك في عصره، والتي كذلك لعبت دورا بارزا في تصعلكه وتشكيل نفسيته وعقليته واغترابه وعقدته النفسية. ومن تلك الأخبار أن بني شبابة أسرته وهو صبي، ولما أسرت بنو سلامان رجلا منهم فدوه بالشنفرى، فنشأ وشب في بني سلامان[13] عند رجل منهم، وحدث أن استهانته بنت الرجل وأنكرت أخوته وطلب من أبيها أن يصدقه القول عن قبيلته فأخبره الأب أنه من بني الأواس بن الحجر، فحلف الشنفرى أنه سيقتل من بني سلامان مائة رجل بما استعبدوه[14]. ولعل هذه الحادثة هي إحدى الحوادث التي عملت في توليد عقدة الكراهية والعدوان في الشنفرى. ثم جعل يقتل منهم واحدا بعد الآخر حتى قتل تسعة وتسعين رجلا، فاحتالوا عليه وقتلوه، وشاء القدر أن يمر رجل منهم بجمجمته، فعضه رأس الشنفرى، ويموت الرجل، فتم العدد مائة. [15] وهكذا أحدث هذه الحادثة العقدة النفسية وعقدة كراهية القبيلة في سيكولوجية الشنفرى.

وتقول رواية أخرى أن أبا هذه الفتاة التي ازدرت الشنفرى عند ما أراد قبلتها وصكت وجهه، همَّ بقتل الشنفرى فوجده ينشد هذه الأبيات[16]:

ألا هل أتى فتيان قومي جماعة * بما لطمت كف الفـــتاة هجينها

ولو علمت تلك الفتاة مـــــناسبي * ونسبتها ظلت تقاصـــــر دونـــــها

أليس ابن خير الأواس وغـــيرها * وأمي ابنة الخيرين لـو تعلمينها

إذا ما أروم الود بيني وبينـــــــها * تؤم بياض الوجه منى يمينـــــــها

ويقال إنه لما سمع الأب هذه الأبيات وسأل من هو وأخبره الشنفرى عن أصله، قال لولا أنه يخاف من بني سلامان أن يقتلوه لزوجه ابنته. فتعهد الشنفرى بقتل مائة رجل منهم إن فعلوا ذلك. فلما قتلوا الرجل ولم يظهر الشنفرى أي اهتمام، اتهمته بنت الرجل بأنه لم يوف بعهده فقال في ذلك[17]:

كأن قد فلا يغررك منى تمـــــكني * سلكت طريقا بين يـــــربغ فالســـــــــرد

وإني زعيم أن تثور عـــــــــجاجـــتي * على ذي كساء من سلامان أو برد

---

[13]) ديوان الحماسة، ج 1، ص 188 ، والأغاني، ص: 8291، والمفضليات، ص: 195

[14]) المفضليات، ص: 196، والأغاني، م 24، ص8392

[15]) الأغاني، م 24، ص 8302، والمفضليات، ص197

[16]) الأغاني، م 24، ص3811

[17]) المصدر نفسه، ص: 8412

هـــــــــم عرفوني ناشئًا ذا مخـــــــيلة * أمشى خلال الدار كالفـــــــــرس الورد

كأني إذا لم يمس في الحي مالك * بتيهاء لا أهدى السبيل ولا أهـــدي

ويلمس من هذه الأبيات مظهر أو أثر عقدة التفوق أو الاستعلاء حيث تباهى وتفاخر بقبيلته ونسبه. ويدل دلالة واضحة ازدراء المجتمع بأمثال الشنفرى أن أبا البنت يخاف من قبيلته أن يقتلوه إن زَوَّج الشنفرى ابنته.

والشنفرى في هذه الأبيات يؤكد للفتاة عزمه على الأخذ بثأر أبيها ويطلب منها ألا تغتر بتريثه عن ذلك وتظن أنه لن يفي بوعده، ويفتخر فيها بمقدرته على سلوك الطرق الخطرة مثل يربع والسرد. ثم سجل مقته وحقده على القبيلة التي أضاعته وهو صغير.

وتفيد رواية أخرى أن قبيلة الشنفرى الأزدية قتلت رجلا من فهم فرهنتهم الشنفرى وأمه وأخاه، ولم يفدوهم[18] حتى شب فيهم وأغاظه ذلك وجعل يغير على الأزد قتلاً وسلباً.

ومن أسباب اغتراب الشنفرى وعقدته لانفسية أن قبيلة الشنفرى الأزدية رهنت الشنفرى وأمه وأخاه ولم يفدوهم. ومنها كذلك أن قبيلته عجزت أن تأخذ بأثر أبيه فحفظ عليهم ذلك، فقال في ذلك:

وتروى المصادر كذلك أن رجلا أو بعض أهل الشنفرى، قتل أباه[19] وأنه بدا لأمه ألا أحد يطالب بدمه فجاورت في قبيلة فهم[20]. ويروى أنه قال بعد قتل أبيه[21]:

1. أضعتم أبي إذ مال شق وسادتي * على جنف قد ضاع من لم يوســـد
2. فإن تطعنوا الشيخ الذي لم تفوقوا * منـــيته وغبت إذ لم أشـــــــــــــــــهد
3. فـــــــطعنة خلس منكم قد تـــركتها * تمج على أقطارها سم أســـــــــــــود

ويبدو لي أن ما فعله قبيلة الشنفرى من رهنهم الشنفرى وأمه وأخيه وأنهم لم يفدوه أحدث فيه عقدة كراهيتهم مع أنهم من قبيلته وجعل يغير عليهم قتلا وفتكا وسلبا.

وكذلك إن قصور قبيلة الشنفرى عن أخذ الثأر من قاتل أبيه والمطالبة بدمه زاد الطين بلة في إيجاد لهيب عقدة الكراهية لقبيلته.

---

[18]) المفضليات، ص198 - 197

[19]) المصدر نفسه، ص: 198

[20]) المصدر نفسه والصفحة

[21]) المصدر نفسه، ص: 198

وظاهر من هذه الأبيات أن الشاعر يبدي حفيظته على إضاعة قومه أباه وتوعده بأخذ ثأره. ثم شاءت الأقدار أن يلتقي الشنفرى بقاتل أبيه الذي وفد حاجا ويقتله، كما اعترف بذلك في هذه الأبيات[22]:

1. قتـــــــــلنا قتيلا مهـــــــــــــديا بـملبد * جمار منى وسط الحجيج المصوت
2. جزينا سلامان بن مفرج قرضها * بـما قـــــــــــــــــدمت أيديهم وأزلـــــــت
3. وهنئ بي قوم وما إن هنـــــــــأتهم * وأصبحت في قـــــــوم وليسوا بمنتي

وهو ليس يعترف بثأره لأبيه فحسب، بل هو يخبر بأنه يعيش في قوم ليسوا بأصله.

وفاته

ومن قبيل الأقاصيص التي رويت حول هذه الشخصية أنه كان إذا ظفر برجل من بني سلامان وهم بقتله، قال له: أأطرقك؟ ثم رماه في عينيه، ولما ظفر به الأعداء، قال أحدهم له: أأطرقك فرد إليه الشنفرى بقوله: كذلك نفعل [بكم]. ثم رماه في عينيه.[23] وتضيف الروايات أنه قبض عليه الأعداء"، واختلفوا في قتله أو إطلاق سراحه فانقض عليه غلام قد قتل الشنفرى والده وقطع يده، وكان بها شامة، فارتجز يقول[24]:

1. لا تبعدي أمـــــــــا هلكت شامة * قرب خرق قطـــــعت قتامه
2 ورب قـــــــــــرن فصـــلت عظامه * ورب حـــــــــي فرقت سوامه

وحين خيروه في الموضع الذي يقبرونه أوصاهم بألا يقبروه، بل طلب أن يرموه في الفلاة تأكله الضبع والذئاب، إذ لا يتوقع بعد الموت حياة سعيدة، ويبقى هناك طوال الليالي مسئولا عن الجزائر التي ارتكبها حسب قوله:

1. فـــلا تقبروني إن قبـــــــــــــري محـــرم * عليكم ولكن أبشـــــــري أم عامر
2. إذا احتملوا رأسي وفي الرأس أكثري * وغودر عند الملتقى ثم سائري

---

[22]) المصدر نفسه، ص: 205

[23]) المصدر نفسه والصفحة، والمفضليات، ص: 198

[24]) الأغاني، م 24، ص 8401 الخرق بالفتح القفر. القتام: الغبار

3. هنـــــالك لا أرجو حياة تســـــــــــــــرني * سمير الليالي مبسلا بالجـــــرائر[25]

وهذه الأخبار والقصص التي رويت حول هذه الشخصية لا تخلوا من زيادة وعبث من الرواة، فان كثيرا منها قد يكون من نسجهم، نظرا إلى أن الشنفرى شخصية أسطورية في تاريخ الأدب العربي. غير أن كثرتها لا تدع مجالا للشك في أن شيئا على نحوها قد حدث ولاسيما أن معظم أمهات الكتب من المصادر الأدبية واللغوية والنقدية العربية قد روتها بشيء من الاتفاق. وعلى ذلك فإن غاية ما يمكن للباحث قوله هو أنها تدل دلالة قوية على سلوك هذه الشخصية من قوة النفس والإرادة، وكل ذلك نتيجة حقده واغترابه عن المجتمع والقبيلة كما تضفي ضوءا على سبب العقدة النفسية التي عاناها. ويشير إلى هذه الحقيقة الدكتور شوقي بقوله: وخيوط الأسطورة واضحة في مقتل الرجل المكمل للمائة، وتلعب هذه الخيوط في أخباره جميعا كما تلعب في أخبار تأبط شراً رفيقه"[26].

شاعريته:

اتفقت المراجع والمصادر على أن الشنفرى شاعر جاهلي من الطبقة الثانية الذين يستشهد بأشعارهم في كتب التفسير والحديث واللغة. وله قصائد ومقطوعات شعرية مبعثرة في كتب اللغة والأدب ونقده. وله ديوان مطبوع حوى قصائده ومقطوعاته الشعرية. وله كذلك قصيدة لامية التى اشتهرت بلامية العرب. وتقع فى ثمانية وستين بيتا. وتضمنت اللَّاميَّة صورة حية لحياة المجتمع البدوي القائمة على الحروب، ومجابهة الشدائد والصبر عليها. كما تضمَّنت صورة للعلاقات القبلية، وما كانت تفرزه من مآس كانت تصيب بعض أفراد القبيلة، كالخلع، والطرد، والنبذ، والتنكر للأبوة أو البنوة، وهضم الحقوق، والاستعباد بغير حقٍّ[27].

الظروف الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية في عصر الشنفرى:

لتحليل الظروف الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية التي عاش فيها الشنفرى جدوى ظاهرة، فمن البديهي أن الفن عامة والأدب خاصة، شعرا كان أو نثرا، لا يخترع في فراغ، بل ينتج في هذه الظروف وأن لها فيه آثارًا بينة، وأنه مرآة صادقة لتلك البيئات والظروف، فدراستها تمكن الباحث على الفهم والتحليل الصحيح لنتاج الشاعر الشعري.

الظروف الاقتصادية في عصر الشنفرى:

---

[25]) الأغاني، م 24، ص: 8397 ، والمفضليات، ص: 197 بشيء من اختلاف في بعض الكلمات والشعر والشعراء، ج 1، ص 80 باختلاف يسير في بعض الألفاظ دون المعنى. أم عامر: الضبع سمير الليالي آخرها مبسلا: مسلما.

[26]) تاريخ الأدب العربي العصر الجاهلي) ص: 380

[27] الهوَاري، ص: لامية العرب للشنفرى: ص:10

وأما العوامل الاقتصادية والمادية العامة الداخلية، التي هوت بالشنفرى وبغيره إلى الصعلكة وعملت في إحداث الاغتراب الحسي والمعنوي والعقدة النفسية فيه وفي غيره من الشعراء في العصر الجاهلي، فأقصد بها تلك التغيرات العميقة الجذور التي اجتازها اقتصاد شمال الجزيرة العربية في حاضرته وباديته. وأما في حاضرته، فإن التجارة أدرت الثروة الطائلة لبعض رؤساء القبائل وفي مقدمتهم سادة قبيلة قريش. فتكوَّن لهم ولأمثالهم من القبائل الأخرى من رؤوس الأموال الشئ الكثير، وامتلكوا الأراضي والضيعات والبساتين وغير ذلك من أنواع المال والعقار، بجانب الإبل والغنم، وسلكوا طرقا عديدة حلالها وحرامها، بما فيها الربا أضعافا مضاعفة، لتنمية أموالهم، فأقرضوا الناس قروضا بالربا الفاحش، حتى اضطر العاجز عن قضاء الدين إلى الفرار إلى الصحراء، لينخرط في سلك الصعاليك وقطاع الطرق. وإذا بقي بين ظهراني قومه أصبح عبدا لغريمه، وهكذا أصبح الدين بالربا من المشاكل الاجتماعية الاقتصادية الكبرى التي واجهها الاسلام حين ظهر في شبه الجزيرة العربية، وقضى عليها قضاء باتًّا.

وفي البادية كذلك، لم تكن الحياة الاقتصادية بمنجى من تلك التغيرات. فبعد أن كانت ثروة القبيلة التي تتكون من الأراضي التي ترعى فيها القبيلة نعمها وغنمها، ومنابع الماء والآبار، وأن النعم والغنم كانت ملكا للعشيرة فإذا ببعض شيوخ القبائل وساداتها، يحمى تلك الأراضي ومنابع الماء لنفسه ولملكه الخاص، ينبح كلبه فيحمي جميع البقع التي وصل إليها صوته، وإذا بهم أو بواحد منهم يملك إبلا "تملأ الأرض"، وإذا بهم أيضا يتمتعون بامتيازات وحقوق لم يكونوا من قبل يتمتعون بها، مثل المرباع وهو ربع الغنيمة التي حصلت عليها القبيلة عقب الغارة أو الحرب، والصفايا، وهو ما يصطفيه ويختاره شيخ القبيلة لنفسه من الغنيمة قبل أن يجري فيها القسمة والتوزيع. والنشيطة، وهو ما أصابت القبيلة من المال في طريقها إلى الغزو وقبل لقاء العدو. والفضول، وهو ما لا يقبل القسمة من أموال الغنيمة.

ولقد لخص هذه الامتيازات أحد شعرائهم، وهو عبد الله بن عثمة في بيت واحد، حيث يقول:

لك المرباع منها والصفايا * وحكمك والنشيطة والفضول

الظروف الاجتماعية في عصر الشنفرى:

أصبح المجتمع الجاهلي الذي كان يتمتع من قبل بوحدة قبلية، منقسمًا قسمين: قسم استأثر بالخيرات التي ينتجها المجتمع، وهو قسم يتكون من شرذمة قليلين من أفراده في البادية والحاضرة. والقسم الثاني هم الأكثرية الساحقة يجرون، كما يقولون، "حبالا ليس فيها بعير". وزاد الطين بلة أن ليس في هذا اجملتمع الجاهلي قانون يأخذ من مال

الغني ليرده إلى فقرائهم. فاختل النظام الاجتماعي القبلي، وكثرت أنواع الجرائم والأمراض الاجتماعية بما فيها الفردية المطلقة. وصاركل فرد يبحث عن سبيل يسلكه ليعيش، بعد أن كان يعيش في كنف عشيرته وقبيلته مطمئنا، يغنى بثرائها، ويفتقر بفقرها. فانقضّ كل على ماتكنه ذاته من مقدرة؛ فأصبح بعض أفراد المجتمع ذو المقدرة والقوة البدنية صعاليك ولصوصا، يسطون على بني جلدتهم من الأثرياء والأغنياء خصوصا البخلاء منهم، ليردوا ما نهبوا منهم إلى فقرائهم. ومن كانت له مقدرة شعرية احترف بها وسخرها لمديح الملوك وشيوخ القبائل الذين ازداد نفوذهم وأصبحوا شبه ملوك على القبائل، بعد أن كان شعره مسخرا لخدمة عشيرته وقبيلته. ومن لم يكن شاعرا وليس له قوة بدنية أصبح متسولا، يسأل الناس إلحافا.

وفي مثل هذه الأوضاع والظروف الاجتماعية – الاقتصادية الصعبة، اعتورت الهموم والغموم نفوس وأذهان عديد من أفراد السواد الأعظم. وهي أزمة ومحنة لم يسلم منها أحد. ولقد عبر الشعراء الجاهليون عن هذه الهموم في أشعارهم، ومن ذلك قول الشنفرى:

وإلـــــف هموم ما تزال تعوده عيادا، كحمى الربع أو هي أثقـــل

إذا وردت أصـــدرتها، ثم إنها تثوب، فتأتي من تُحَيْتُ ومن علُ

نعم، لقد بلغ من فساد الأمور واختلال النظام الاجتماعي مبلغا حتى، حسب تعبير الأعشى، "قد صار فيه رؤوس الناس أذنابا".

وهكذا تظاهرت هذه الظروف والمؤثرات الاجتماعية العامة الداخلية وتضافرت في إيجاد ظاهرة الصعلكة والاغتراب والعقدة النفسية في الشنفرى وفي غيره في هذا العصر.

الظروف الدينية في عصر الشنفرى:

وأما التطور الديني فيلاحظ كمظهر له كثرة وازدياد الرفض لعبادة الأصنام والأوثان، بل وشتمها ولعنها، لازدياد وعيهم أنها لا تضر ولا تنفع، ولقد لعب دورا بارزا في هذه الناحية اليهودية والنصرانية، والدعوة إلى الحنيفية دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، فقد كان لليهود والنصرانية وجود ملموس في بعض القبائل في الجزيرة العربية وكان أصحابهما يقومون بالتبشير فيها حتى وجدت بعض القبائل تنصرت أو تهودت.[28] ووجد كذلك رجال نابهون ارتفعت عقولهم عن عبادة الأوثان، أو النصرانية أو اليهودية وغيرها من الديانات الموجودة

[28] - راجع فيما يتعلق بالحياة الدينية في العصر الجاهلي، فجر الإسلام، ص: 23-29، وبلوغ الأرب للآلوسي، ج/62، ص: 194-197، وص: 240-241.

يومئذ، فدعوا إلى الرجوع إلى الحنيفية السمحة، دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ونبذ العادات والتقاليد العقيمة المستقبحة، ودعوا إلى عبادة الله وحده وهجروا هذه العادات والتقاليد، مثل وأد البنات وقتل الأولاد، والخمر والميسر وما إليها.

الظروف السياسية في عصر الشنفرى:

وأما الظروف السياسية فإنه من مظاهر ما أحرزوه في هذه الناحية من تقدم وتطور مما قد يعد براعم لعناصر الحكومة المركزية، ما وجد من بعض الأحلاف في مكة، مغزاها منع الظلم وحماية الأمن والملكية الخاصة، كحلف الفضول الذي تصدى لمنع العدوان والظلم ولرد المظالم، وتقدم من الأفراد من تصدى لتنفيذ ذلك[29]. كما وجد من الأفراد من تصدى لمنع الاعتداء والجور في الأسواق.[30] وكما أنه قد يعد مظهرا آخر لتطلع المجتمع إلى نوع من الحكومة المركزية أن بعضا من هؤلاء التجار الأثرياء الذين جابوا البلاد القريبة والنائية، حاولوا فرض أنفسهم كملوك على قبائلهم لإيجاد حكومة ذات سلطة مركزية كالتي عاينوا في رحلاتهم. ولقد لقيت محاولتهم تلك معارضة صارمة من قومهم بحجة أن العرب لا تملك[31]. وفي الحقيقة هناك عبارة في بعض المصادر تدل على أن هناك أرضا محكومة وأراضي غير محكومة "يعز فيها من بزّ".[32]

والجدير بالذكر بهذا الصدد هو أن هذه المحاولات لم تصل إلى حد أو مستوًى من الحكومة المركزية التي تقيم العدل والأمن والسلام بصفة شاملة.

تعريف الاغتراب

الاغتراب الاجتماعي هو شعور بالانفصال عن المجتمع أو عن الذات لأسباب منها التغيرات الاجتماعية السريعة وفقدان القيم والمعايير والعلاقات الاجتماعية السطحية والضغوط الاقتصادية والاضطرابات النفسية.

أسباب الاغتراب الاجتماعي: منها التغيرات الاجتماعية السريعة التي تؤدي إلى عدم الاستقرار وتفكك الروابط الاجتماعية مما يجعل الأفراد يشعرون بالغربة والضياع، وفقدان القيم والمعايير الذي يؤدي إلى شعور الأفراد بعدم الانتماء وفقدان الإحساس بالهدف المشترك مما يؤدي إلى الاغتراب والعقدة النفسية، والضغوط الاقتصادية مثل الفقر والبطالة، التي تؤدي إلى

---

[29] - قصة الأدب في الحجاز في العصر الجاهلي، ص: 158.

[30] - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص: 131.

[31] - المرجع السابق، ص: 153.

[32] - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، ص: 140.

الشعور بالعجز والإحباط، وبالتالي إلى الاغتراب الاجتماعي، والاضطرابات النفسية مثل الاكتئاب والقلق التي تجعل الأفراد ينعزلون عن المجتمع ويشعرون بالاغتراب.

الاغتراب الاقتصادي والمادي:

هو حالة انفصال أو انفصام يشعر بها العامل عن عمله ومنتجاته وعن زملائه وعن ذاته في ظل نظام الإنتاج الرأسمالي.

وبعبارة أخرى، هو عزل أفراد المجتمع عما يمتلكون من الغنم والنعم ومنابع الماء التي كان يتمتع بها عندما كان ذلك ملكا مشاعا للشعيرة والقبيلة.

الاغتراب النفسي

وبعبارة أخرى، الاغتراب النفسي حالة نفسية يعاني فيها الفرد من شعور عميق بالبعد عن ذاته، أو عن الآخرين، أو عن المجتمع ككل. وقد يتجلى هذا الشعور في عدة مظاهر منها: الشعور بالوحدة والعزلة، وفقدان الانتماء، وفقدان المعنى، وعدم الثقة، والشعور بالقلق والتوتر، وصعوبة في التكيف والتمرد.

أسباب الاغتراب النفسي عند الشنفرى:

فاغتراب الشنفري ناتج عن عوامل عدة، منها: كونه من أغربة العرب الذين سرى إليهم سواد البشرة من أمهاتهم الإماء، والذين لا يعترف آباؤهم بهم إلا بعد أن أتوا بأعمال جليلة كما هو الحال عند عنترة بن شداد العبسي. أضف إلى ذلك تلك التغييرات المادية الاقتصادية التي طرأت على المجتمع الجاهلي والتي أدت إلى انعزال الأغلبية الساحقة عن أساس حياتهم المادية من الإبل والمواشي، وتركز الأموال في أيدي الأقلية.

تعريف العقدة النفسية

للعقدة النفسية تعريفات كثيرة، منها أنها أنماط حسية وفكرية "معروفة غير سوية، تؤدي إلى سلوك غير طبيعي، وتكون عادة عميقة الجذور في نفس الشخص المصاب بها، وتؤثر على كيفية رؤية الشخص لنفسه، وكيف يتصرف تجاه الآخرين، ويمكن أن تكون لها تأثير كبير على حياة ذلك الشخص".[33]

ومنها كذلك أنها: "حالة غير شعورية، قد لا يفطن الفرد المصاب بها إلى وجودها، ولا يعرف منشأها، وإنما يشعر بآثارها، كالقلق والشكوك، كما أنها تضغط على الفرد، في محاولة للظهور...".[34]

---

[33] - https://altibbi.com

[34] - كتب العقد النفسية https:///www.noor-book.com

ومن تلك التعريفات أن العقدة النفسية عبارة عن مشاعر وأفكار سلسة عميقة الجذور تتشكل نتيجة لتجارب سلبية سابقة، وتؤثر على سلوك الفرد ومواقفه تجاه نفسه والآخرين. وتتشكل العقدة النفسية عادة في مرحلة الطفولة المبكرة نتيجة لظروف قاسية أو صدمات نفسيةز وقد تستمر تأثيراتها.

أسباب العقدة النفسية:

1) التجارب السلبية في مرحلة الطفولة، مثل الحرمان العاطفي، والقسوة في التربية، والتعرض للإيذاء الجسدي أو النفسي، أو التعرض لصدمات نفسية.
2) الصدمات النفسية؛ مثل الحوادث المؤلمة، وفقدان الأحباب، أو التعرض للعنف.
3) الخوف والتخويف؛ مثل تهديد الطفل بشخصيات معينة أو مواقف معينة لجعله يطيع.
4) الحرمان العاطفي؛ مثل عدم حصول الطفل على الحب والاهتمام الكافيين من الأهل.
5) التربية القاسية؛ مثل الضرب والإهانة والتوبيخ المستمر.
6) الخوف من الفشل؛ مثل الخوف من عدم تحقيق النجاح أو الخوف من التعرض للنقد.

ويلاحظ أن جميع هذه الشروط كائنة فى الشنفرى كما هو واضح فى شخصيته وأشعاره.

أقسام العقدة النفسية:

عقدة الاستعلاء:

هي إحدى الحيل النفسية التي يتعارض فيها شعور الشخص بالاستعلاء مع شعوره بالدونية أو يختص وراءه.[35]

[35] - ويكيبيديا.

عقدة النقص:

مركب النقص أو عقدة النقص أو عقدة الدونية، هو شعور مزمن بالنقص وعدم الكفاءة، يؤثر على سلوك الشخص وتفاعله مع الآخرين. والشخص الذي يعاني من مركب النقص يشعر بأنه أقل من الآخرين، مما قد يؤدي إلى سلوكيات تعويضية أو انسحابية.[36]

وتجب الإشارة إلى أن جميع عناصر تعريفات العقدة النفسية بما في ذلك من عقدة التفوق وعقدة النقص وغير ذلك من عناصرها، والاغتراب وأنواعه وأقسامه الحسية والمعنوية بادية في شخصية الشنفرى وأشعاره.

وتجب الإشارة كذلك إلى أن الفهم والوقوف التام على ما قدمته هذه العلوم من التجديدات والتعريفات جديرة بأن تمهد الطريق إلى الفهم الصحيح لشخصية الشنفرى وإنتاجه الشعري ونفسيته وعقدته النفسية واغترابه، أضف إلى ذلك أنها تكشف وتوضح العلاقة التي بينها وبين الفن عامة والأدب خاصة.

وإن لتحديد هذه المصطلحات والوقوف على معانيها وعلاقتها بالأدب شعرا كان أو نثرا فوائد، منها: أن جميع عناصرها بادية في شخصية الشنفرى ونتاجه الشعري. زد على ذلك أنها ستضفي ضوءا كاشفا يؤدي إلى فهم وتحليل صحيح لأشعار الشاعر محل الدراسة.

من أسباب عقدة الشنفرى النفسية ما عاناه من الإهانة على يد بنت سيده التي لطمته وأنكرت أخوته إياها. أضف إلى ذلك أن قبيلته – كماروي - رهنته وأمه وأخاه ولم يفدوهم. فآلمه ذلك أشد الألم. ويروى كذلك، أن قبيلة بني شبابة آسرته وهو صبي، ولما أسرت بنو سلامان رجلا منهم فدوه بالشنفرى. فنشأ وشب في بني سلامان، فحفظ لذلك على قبيلتة. فقال فيهم هذه الأبيات:

هم عرفوني ناشئاً ذا مخيلة أمشي خلال الدار كالأسد الورد

مظاهر أثر الاغتراب والعقدة النفسية في شعر الشنفرى الأزدي:

حمل الشنفرى عقدة النقص والدونية ومركب النقص على المبالغة في الاتصاف والتمثل بتلك القيم الاجتماعية والمثل العليا التي تجمعها عندهم كلمة المروءة والتي تعنى عندهم أيضا الفضائل من شجاعة وكرم وجود وعفة ونجدة وإغاثة الملهوف ووفاء وحماية الجار وحسن الجوار والأخذ بالثأر، وتحمل المشقة كما حمله ذلك على نفي أضدادها عن نفسه أشد النفي.

---

[36] - Ai Overview.

وفي لاميته التى إشتهرت بلامية العرب أعلن الشنفرى هجرانه وانسحابه من المجتمع الذي أهانه وأهدر إنسانيته وعبده مبينا انسحابه إلى مجتمع الحيوانات في الصحراء كالأسد والذئاب والنمر والضباء وغير ذلك من الوحوش الضاربة التي اعتبرها خيرا من بني جلدته، والتي تكتم السر، وتحمي الجار ولا تخذله، وتتمتع بالبسالة والشجاعة والإباء. وهذه بداية اغتراب الشنفرى. ولقد أبدى الشنفرى سلوكيات تعريضية لإخفاء شعوره بالدونية مثل عدوانه على القبيلة وانتقاده المجتمع وسعيه المفرط للإتيان بالأعاجيب واجتنابه أضداد تلك المثل العليا والقيم الاجتماعية.

ولقد أصاب الشنفرى عدد كبير من فروع العقدة النفسية وما في ذلك عقدة الكراهية وعقدة العدوان وعقدة الانسحاب من الاجتماعية وعقدة الدونية أو عقدة النقص وعقدة الفقر وعقدة العنصرية.

كما ظهرت في أشعاره أعراض هذه العقدة النفسية. ففي لاميته ظهرت كل هذه العقد وأعراضها، ففي الهجران والانعزال والانسحاب أو الاغتراب من المجتمع قال:

أقيـــــــــموا بني أمي صدور مطيكم فـــــــإني إلى قـــوم سواكم لَأَمْيَل

فـــــقد حمـــت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرحـــــــــل

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها، لمن خاف القلى متـــعزل

ولا أشد إظهارا لواحد من هذه العقد، أي عقدة العبودية والعنصرية من قول السليك بن السلكة:

أشـــاب الرأس أني كـــــــــــــــل يوم أرى لي خـــــالة وســـــــط الرحـــال

يشـــــــــــــــق علي أن يلقين ضيما ويعجز عـــن تخلصـــــــــــهن مـــالي[37]

وفي الإباء قال الشنفرى:

ولولا اجتناب الذأم لم يلف مشـرب يـــــــــعاش بـــــــه إلا لـــــــدي ومأكل

ولكـــــــــــــن نفسا مرة لا تقيم بـــــــي على الضيـم إلا ريثما أتحـــــــــــول[38]

وفي الصبر عل الجوع قال:

أديـــــــــم مطـــــال الجوع حتى أميته وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل

---

[37]) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي، يوسف خليف، ص: 236.

[38]) لامية العرب للشنفرى، ص: 65-66.

وأسـتف ترب الأرض كي لا يرى له عـــــلي مـــــن الطول امرؤ متطول

* * *

وأطوي على الخمص الحوايا كما انطوت خيوطـــــــــــــة مـــــــاري تغار وتفتل

وأغدو على القوت الزهيد كـــما غدا أزل تـهاداه التنـــــــــــــــــــائف أطحل[39]

وفي الهموم قال:

وإلـــف هـــــــوم مـا تزال تعـــــــــــوده عيادا كحمى الربع أو هي أثـــــــقل

إذا وردت أصـــــــــــــــــدرتها ثم إنها تثوب فتأتي من تحيت ومن عـــــل[40]

وفي الحلم قوله:

ولا تزدهي الأجهال حلمي، ولا أرى سؤولا بأعقاب الأقاويل أنـــــــــــــــمل[41]

فحمل الشنفرى شعوره بمركب النقص أو شعوره بالدونية على التمثل بأعلى صور المروءة من كرم وجود وشجاعة ونجدة وعفة وإباء وإقدام والصبر على الشدائد، ونفى عن نفسه أضداد هذه الخصال الحسنة أشد النفي، فنفى البخل والطمع والجبن والخيانة والغدر والذلة والهوان والجزع عند الجوع والعطش والحيران ولزوم الدرا وزيارة النساء والضعف والخمول والكسل وقصور الهمة والخسة. وكذلك حمله على الإتيان بالأعاجيب فنافس غيره من الأبناء الأحرار وأتى بقصيدته اللامية التي اشتهرت بلامية العرب والتي تعدل كثيرا من المعلقات المشهورة في عصره. واشتملت على خير ما يشتمل عليه تلك المعلقات من العناصر الشكلية والمضمونية.

وقصارى القول، إن الشنفرى عبر في أشعاره عن المغامرات، والمراقب، والتوعد والتهديد، ووصف الأسلحة والرفاق من الصعاليك، والفرار وسرعة العدو، والغزوات على الخيل والرجل، والدوافع الاجتماعية التي دفعت الصعاليك إلى الثورة التي أشعلوها في وجه مجتمعهم.

فكانت النتيجة أن تولد عند الشنفرى نوع عقدة العداء والكراهية والعدوان على القبيلة.

---

[39]) المرجع السابق، ص: 66.

[40]) نفس المرجع، ص: 40.

[41]) نفس المرجع، ص: 41.

وهكذا أدى مركب النقص في الشنفرى إلى سلوك تعويضي وانسحاب من المجتمع كما أدى إلى التنافسية المفرطة والمبالغة في إظهار الثقة بالنفس والسعي المفرط إلى تحقيق الاستعلاء والذات.

الخاتمة:

أثبتت المصادر والمراجع الأدبية واللغوية والنقدية على أن الشنفرى شاعر من شعراء الطبقة الثانية، وأنه صعلوك من صعاليك العصر الجاهلي، ومن أغربة العرب الذين سرى إليهم السواد من أمهاتهم. ويضرب به المثل في العدو والحِذق. وقد رويت حكايات وأقاصيص حول شخصية الشنفرى التي تدل على أنه شخصية أسطورية. وأسفرت الدراسة على أن ظروفاً اقتصاديةً واجتماعية ودينية وسياسية تضافرت وعملت في تصعلك الشنفرى واغترابه وعقدته النفسية، وقد عبر عن ذلك في أشعاره وقصائده أصدق تعبير. واكتشف البحث أن الاغتراب الاجتماعي والاقتصادي والعقدة النفسية حملا الشنفري على إظهار سلوك تعويضي ظهر في شكل النهوض على الإتيان بالأعاجيب والتمتل بالمثل العليا والقيم الإجتماعية التي تواضع عليها المجتمع الجاهلي من جود وكرم ونجدة وإباء واعتزاز بالنفس والشجاعة والصبر على الجوع والمشقة والشدِّ على الأقدام، كما نفى عن نفسه أضداد هذه القيم الاجتماعية أشدَّ النفي. فنفي الشح والبخل وذلة النفس والجبن والجزع والاستكانة والهوان والضعف. هذا، وينصح البحث الباحثين بتعميق وتوسيع البحث في المحاور التي ترك البحث فيها فجوة أو ثغرة، لسدها وتوسيع البحث فيها.

الفهارس والمراجع: